تقنيات الحجاج اللغوي في رسالة «العهد» من كتاب مجدولين للمنفلوطي

The Linguistic Argumentative Techniques in the treatise "AL-Ahd" from the book of Magdalene by "AL-Manfluti"

طالبة دكتوراه/ شمس الهدى تايب
أستاذ محاضر أ/ السبتي سلطاني

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف (الجزائر)
مخبر تعليمية اللغات والتواصل في ظل التكنولوجيات الحديثة، جامعة الطارف.
ch.taib@univ-eltarf.dz

تاريخ الإيداع: 2023/04/01 تاريخ النشر: 2024/01/07 تاريخ القبول: 2024/03/15

ملخص:

يحاول المقال الكشف عن طرق اشتغال الآليات اللغوية لتحقق الخطاب الحجاجي اعتمادا على شحنتها الدلالية والتداولية في توجيه المتلقي وجهة مخصوصة، اعتمادا على القرائن اللغوية والمؤشرات الحجاجية الموجهة للحجج التي تشكل تدرج السلالم الحجاجية المنتهية نحو تحقيق مقصدية المتكلم، إضافة إلى ما يستند إليه من مواضع حجاجية تحمل شحنات تسير بالمتلقي نحو ما هو مفترض فعله.

يروم هذا البحث الكشف عن فاعلية الأدوات اللغوية وحركيتها الحجاجية في رسالة «العهد» من كتاب ماجدولين للكاتب المصري مصطفى لطفي المنفلوطي، ليتوصل إلى آليات الحجاج اللغوي المعتمدة في الحوار القائم بين الشخصيتين المحوريتين المنخرطتين في الكلام، وتسليم أحدهما بما يوجهه الآخر من كلام.

الكلمات المفتاحية: الحجاج؛ المؤشرات الحجاجية؛ السلالم الحجاجية؛ المواضع؛ الروابط الحجاجية.

Abstract:

This article attempts to shed light on how linguistic mechanisms operate to achieve the argumentative discourse depending on its semantic and pragmatic context to direct both the interlocutors, the hearer and the speaker for a specific destination. All that is based on the linguistic reasons

that direct the arguments to reach a hierarchy of arguments towards achieving the speaker's intention. Adding to that the argumentative themes used leading the recipient to what he is supposed to do.

Therefore, this research aims to investigate the effectiveness of the linguistic techniques and their argumentative dynamics in the treatise of "AL-Ahd" from the book of Magdoline by the Egyptian writer "Mustafa Al-Manfluti". In order to reach the mechanisms of linguistic arguments adopted in the dialogue between the two pivotal figures involved in the speech, and the recognition of one of them with the guidance of the other from speech.

key words: Arguments, Argumentative indicators, speaker; hearer; argumentative links.

مقدمة

يعد الحجاج من أبرز الاستراتيجيات التي تهتم بها التداولية في إطار دراسة البعد الاستعمالي اللغوي، فهو يهتم بدراسة الأسلوب الذي ينتهجه المتكلم في إنتاج خطابه كالعبارات والمؤشرات والوقائع اللغوية والمتواليات من الأقوال المصاغة في شكل حجج لغوية مختلفة تتضمن رسائل تهدف إلى تحقيق مقاصده، فلا يمكن لأي مخاطب التخلي عن الأساليب التي تحقق استمالة المتلقين، كل ذلك في إطار موقف تواصلي يبرر خلاله المتكلم أنماط أفعاله بشكل طبيعي عبر شبكة من الأقوال الحاملة لصور حجاجية تستجلب أهدافا تأثيرية كما تتضمنه من وسائل تربط الأقوال، وتوجهها الوجهة الحجاجية المسطرة لتحقيق الإقناع، وهو ما اهتمت به النظرية اللسانية التي أسسها اللغوي الفرنسي **أوزوالد ديكرو** Oswald Ducrot منذ سنة 1973م، الذي انطلق من فكرة مفادها أننا نتكلم عامة بقصد التأثير؛ هذه الفكرة تحمل الصفة الذاتية والجوهرية والوظيفية للغة، وهذا التوجه يُشرَع للبحث في الترابطات الحجاجية الممكنة ومسوغات تواجدها في بنية الأقوال اللغوية، ولعل الخصوصية الجوهرية "الاستمالة و التأثير والإقناع" التي تتوفر عليها رسالة «**العهد**» هي ما استدعت إلى أذهاننا هذا التساؤل: كيف يحقق الخطاب انسجامه؟ وما الطريقة التي يوجه بها المتكلم حججه لتحقيق مقاصده؟ وكيف تشتغل الوقائع اللغوية لتحقيق الوظيفة الحجاجية للغة؟

أولا المؤشّرات الحجاجيّة: l'indicateur argumentative

تعد الرَّوابط والعوامل الحجاجيَّة أحد أهم الوقائع اللغوية المؤسسة لبنية الخطاب الحجاجي وانسجامه من حيث المبنى والمعنى، إذ تؤدي هذه العناصر وظيفة الربط والوصل بين المقدمات والنتائج من جهة، وتوجيه انتباه المتلقي نحو نتائج مقصودة ومحددة.

1- الرَّوابط الحجاجية: Les connecteurs argumentative

تسهم الروابط الحجاجية بشكل فعَّال في انسجام الخطاب وتماسكه، وهي عبارة عن "مكونات لغوية تداولية تربط بين قولين أو أكثر ينضويان تحت استراتيجية حجاجية واحدة، حيث تسمح بالربط بين مجموعة حجج ونتيجة أو حجة ونتيجة.[1]

وميّز **أبو بكر العزاوي** بين أنماط عديدة من الرَّوابط منها:

- ❖ الروابط المدرجة للحجج: حتَّى، بل، لكن، مع ذلك، لأنَّ...
- ❖ الروابط المدرجة للنتائج: إذن، لهذا، بالتَّالي...
- ❖ الروابط التي تدرج حججا قويَّة: حتَّى، بل، لكن، لا سيما...
- ❖ روابط التَّعارض الحجاجي: بل، لكن، مع ذلك...
- ❖ روابط التَّساوق الحجاجي:(حتى، لا سيما...).[2]

2- العوامل الحجاجيَّة: Les opérateures argumentatifes

وهي عناصر لغوية إسنادية نحوية أو معجمية تربط بين مكونات القول الواحد، وتتجاوز عامليتها الربط بين المتغيرات الحجاجية (الربط بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج ونتيجة) إلى حصر وتقييد الإمكانية الحجاجية التي تكون لقول ما، من بين هذه العوامل نذكر: ربما، تقريبا، قليلا، ما... إلاَّ، لا... إلاَّ، إنَّما... إلى غير ذلك من العوامل.[3]

-حجاجية الوصل (الواو):

يعد حرف (الواو) أحد أهم الروابط الحجاجيَّة، وأكثرها شيوعا في الخطابات والنصوص، لما يحققه من وظائف متنوعة من قبيل "العطف والجمع والترتيب... وغير ذلك"[4] فهو يربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر في إطار استراتيجية حجاجية واحدة[5]، ولا يقتصر الأمر على الربط فقط، وإنما يعمل على تقوية بعض الحجج وتساندها بعضها ببعض، وترتيبها حسب قوتها في توجه حجاجي واحد لخدمة نتيجة حجاجية واحدة، ويمكن التدليل على ذلك من خلال المثال الآتي:[6]

> الله هو الذي ينصرك ويعينك، وهو الذي يأخذ بيدك في حيرتك، وينير لك السبيل في ظلمات هذه الحياة

وردت أربع حجج متساوقة في الشاهد نذكرها على التوالي في المخطط الآتي:

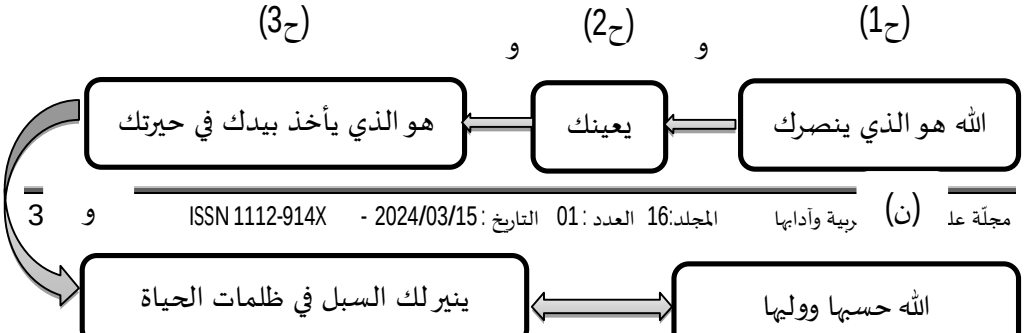

ويربط هذه الحجج حرف التساوق الحجاجي (الواو) بشكل يجعلها تبدو لحمة واحدة، يدعم بعضها البعض للوصول بـ "مجدولين" إلى الإذعان والتسليم بأن (الله وليها) وهو من يدبر أمورها وينصرها ويهديها، وينير دروب حياتها المظلمة؛ ففي ذلك دعوة إلى الطمأنينة واللجوء إلى الخالق في كل عثرة وصعوبة تواجهها في حياتها، وبالتالي تفويض جميع أمورها لله - عز وجل - وحده دون سواه، فالرابط الحجاجي (الواو) إضافة إلى ما أداه من وظيفة الربط عمل على ترتيب الحجج وتوجيهها نحو وجهة حجاجية تخدم نتيجة (ن) واحدة، مما يشكل تأثيرا مباشرا على المتلقي.

-حجاجية التَّعارض: (لكن)

يمثل الرابط الحجاجي(لكن) حلقة وصل وربط بين قضيتين متناقضتين ومتعارضتين، ويصفها **ديكرو** Ducrot بأنها "تشير إلى التعارض بين القضايا التي تربط بينهما".[7]

إن وجود قضيتين من قبيل (أ لكن ب) يستلزم وجود نتيجتين متعارضتين (ن، لا-ن)، حيث تكون الوجهة الحجاجية نحو إثبات النتيجة الثانية (لا-ن) على حساب النتيجة الأولى (ن) بالدحض والنفي، ولتوضيح ذلك نورد الشاهد الآتي من رسالة «العهد» وهو قول "استيفن" بطل رواية مجدولين:8

ما كنت محسنا قبل اليوم **ولكنه** الحب يملأ القلب رحمة

يشكّل الرابط الحجاجي (لكن) حالة تعارض حجاجي بين القضيتين اللتين توسطهما، فالشق الأول من الملفوظ(ما كنت محسنا قبل اليوم) يتضمن حجة (ح1) تخدم نتيجة (ن) من قبيل(أنني كنت سيئا فيما مضى) أو(لم أكن شخصا جيدا قبل اليوم) أو (كنت قبل اليوم غليظ القلب...)، في حين تضمَّن الشق الثاني من الملفوظ(الحب يملأ القلب رحمة وحنانا) حجة ثانية (ح2) تخدم نتيجة معارضة للنتيجة الأولى (لا-ن) وتبطلها وهذا يعود إلى الوظيفة التي أداها الرابط الحجاجي (لكن) الذي يعطي للنتيجة الثانية قوة حجاجية تجعلها تغير الوجهة الحجاجية من الاتجاه نحو النتيجة السلبية (ن) وهي نفي الإحسان عن صاحبه لصالح الحجة

الثانية (ح2) التي تخدم النتيجة المعارضة (لا-ن) وهي (إثبات الإحسان والرحمة والحنان بسبب الحب).

والمخطط الآتي يوضح هذه العلاقة كما يلي:[9]

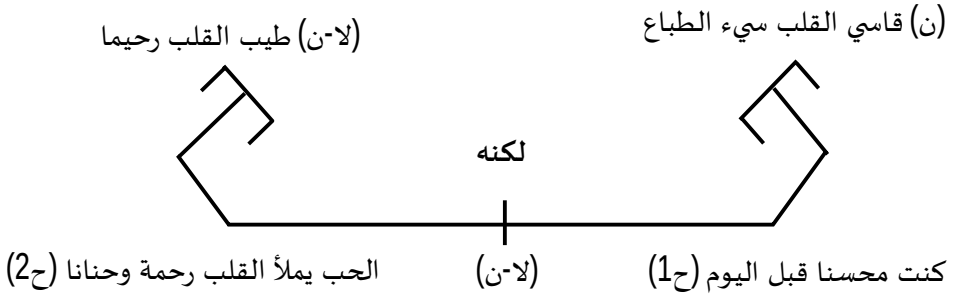

-حجاجية الحصر (ما...إلاَّ/ لا...إلاَّ):

يتكون هذا النوع من العوامل من صرفمين(مورفيمين)غير متساويين، أحدهما يحقق النفي، والآخر يفيد الاستثناء، فهو أحد العوامل الذي "يوجه القول نحو وجهة الانخفاض"[10]، فكثيرا ما يوظف هذا الضرب من العوامل لحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية لقول ما، وتوجيه وجهة واحدة نحو ما يعتقده المتكلم ويريد إثباته، ونوضح لعاملية أدوات الحصر من خلال المثال التالي:[11]

> وقد علمت أن الله **ما** منحك هذه المنحة من الجمال، **ولا** جمَّلك بما جمَّلك به من محاسن الخلال، **إلاَّ** وأنت آثر بنات حوَّاء عنده.

يتكون المقطع الحجاجي من ثلاث حجج متتالية، حيث جاءت الحجتين(ح1) (وقد علمت أن الله ما منحك هذه المنحة من الجمال) و(ح2) (ولا جمَّلك بما جمَّلك به من محاسن الخلال) منفيتين بأدوات النفي (ما) و(لا) فكانتا تأخذان الوجهة الحجاجية نفسها نحو إثبات النفي، ومع دخول أداة الاستثناء (إلاَّ) تغيَّرت الوجهة الحجاجية من النَّفي إلى الإثبات بالإيجاب (إلاَّ وأنت آثر

بنات حوَّاء عنده)، فقد وظَّف "**استيفن**" أداة الحصر ليقلص إمكانيات الحجاج وتعدد نتائجه، فهو بذلك يوجه حججه نحو نتيجة واحدة تخدم هدفه وهو إقناع **مجدولين** بأنها في نظره أجمل بنات حوَّاء على الإطلاق، وأن لها من صفات الحسن والجمال ما لا تملكه غيرها من النساء، فهو بهذا الأسلوب -الحصر- ضيَّق محتوى الحجج وعجل بالوصول إلى النتيجة (مجدولين أفضل النساء وأحبهن إلى قلبه).

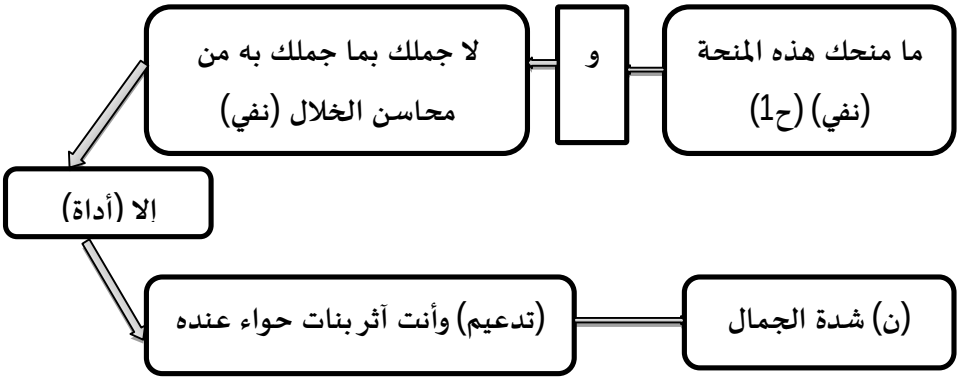

يعد عامل النَّفي أحد أهم الأدوات اللغوية التي تحدد الوجهة الحجاجيَّة للخطاب، ولا يمكن معرفة وظيفته الحجاجية إلاَّ من خلال إدراك النتيجة (ن) التي يقصد الباث توجيه المتلقي إليها، فعادة ما يكون النفي إثباتا لحقيقة ما أو نفيها، وفي هذا الصدد يقول ابن **يعيش(ت 643 ه)**: "اعلم أن النفي إنَّما يكون على حسب الإيجاب لأنه إكذاب له ،فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلاَّ أنَّ أحدهما نفي والآخر إيجاب وحروف النفي ستة ما و لا ولم و لما ولن و إن"[12] ففي الإكذاب توجيه للملفوظ والمتلقي على حد سواء نحو نتيجة (ن) التي يفترض الإذعان والتسليم بها قصرا .

وتتضح وظيفة حروف النفي في مقام استعمالها، وهو ما يوضحه الحوار القائم بين **استيفن ومجدولين** بطلي الرواية في الشاهد الآتي:[13]

قال: لا تبكي يا ماجدولين، فما في قوى هذا العالم كلها قوَّة تستطيع أن تحول بيني وبينك.

قالت: إنَّما أبكي خوفا من الحب، وما أنا إلاَّ فتاة مسكينة منقطعة، أشعر بالحيرة التي تشعر بها كل فتاة لا أم لها ترشدها، ولا ناصر لها يعينها.

وردت صيغة النَّفي في الملفوظ اللغوي (فما في قوى هذا العالم كلها قوَّة تستطيع أن تحول بيني وبينك) عن طريق العامل الحجاجي (ما) إلى إثبات المفهوم الذي نصل إليه عن طريق مغاير، وهو (إثبات حبه لها ونفي عدمه، وكذا شدَّة تمسكه بها وعدم تخليه عنها وهو ما يعرف عند الأصوليين بمسمَّى **"مفهوم المخالفة"**[14].

أما في القسم الثاني فخلافا لما هو معروف في التَّرتيب الحجاجي، قدَّمت **مجدولين** النَّتيجة (ن) المتمثلة في (الحيرة والخوف من الحب) على الحجج التي تدعمها.

وقد ورد النَّفي في الملفوظين: (أشعر بالحيرة التي تشعر بها كل فتاة **لا** أم لها ترشدها) و(**لا** ناصر لها يعينها)، حيث تضمَّن الملفوظ الأول حجَّة تنفي وجود الأم التي تمثل دور (المرشد والناصح) ويشمل هذا المفهوم كل من له علاقة من جهة الأم: أخت، جدَّة، خالة... ممن يمثلون جانب الصلة والقرابة الذين تتوافر فيهم سمات الحنان والرَّحمة والعطف عليها.

وفي الملفوظ الثاني (لا ناصر يعينها) يتضمَّن حجَّة ثانية تبرر سبب خوف **مجدولين** وهو غياب من يحميها ويعينها وينصرها في حالة تعرضها للظلم (غياب الحامي والناصر) وهذا المفهوم يتجاوز الأم والأب إلى جميع أفراد العائلة: أخ، عم، خال...، فالمفهومين (أ، ب) تمَّ التوصل إليهما من خلال السياق والاستدلال بالمطابقة، وهو ما يعرف بـ **"مفهوم الموافقة أو فحوى الخطاب."**[15]

ثانيا: المواضع الحجاجيَّة (المبادئ) Topic argumentative

إن وجود المؤشرات والقرائن الحجاجية غير كاف لانسجام الخطاب وتسلسله، لذا لا بد من وجود ضامن يربط بين الحجة والنتيجة وهو ما اصطلح عليه بـ **"المبادئ الحجاجية أو المواضع"**[16]، وهي عبارة عن **"مخازن للحجج أو مستودعات"** Mgasins des arguments"[17] يعمد إليها الخطيب لاستخدام القيم وهرميتها للرَّفع من درجة إذعان الجمهور، ويصر **أوزوالد ديكرو** Oswald Ducrot على "وجود مواضع في كل لسان من صنف: كلَّما كان **س** كان **ص**، أو كلَّما لم يكن **س** لم يكن **ص** الذي يقيد الاستعمال الحجاجي للغة"[18]

تحكم المبادئ الحجاجية مجموعة من المقومات التي تعتبر بمثابة الخصائص من بينها **"الكونية، العمومية، التَّدرج** على حد قول **ديكرو** Ducrot: "أقصد بالموضع مبدأ حجاجيا له على الأقل الخصائص: الثلاث"[19]، وخلال تحليلنا للنَّص الحجاجي نعتمد على **"الشكل القاعدي**

للحجاج"le schema de base de l'argumentation الذي يقابل "**القياس الحجاجي**" عند أرسطو: مقدمة كبرى، مقدمة صغرى، نتيجة.

وقد أطلق **ستيفان تولمين** Stephen Toulmin مصطلح "**قانون العبور**" Loi du passage وهو ما يسمح بالانتقال من الحجة (المقدمة الصغرى إلى النتيجة) بالإضافة إلى ما أسماه بـ "**السند**" الذي يمثل مرجعا لقانون العبور وعلامة القوَّة التي تزيد من قوَّة النَّتيجة أو تضعفها[20]، والمثالان الآتيان يوضحَّان كيفية اشتغال المواضع الحجاجيَّة كما يلي:[21]

فعذت باسمك في شدَّتي كما يعوذ المؤمن في شدته باسم الله، فكان لي خير معاذ وملاذ.

يشترك كل من المتكلم والمتلقي في مجموعة من المبادئ والقيم الاجتماعية والاخلاقيَّة والدينيَّة، وقد عمد المتلفظ في هذا المقطع الحجاجي إلى توظيف القيمة الدينيَّة،(قوَّة إيمان الإنسان والاعتقاد بالله هو سبب خلاصه من الكرب، الله منجاة للعبد المؤمن) من باب علاقة الشبه بينها وبين ما تحمله حجته من مدى (ولوع المتكلم بمخاطبه وحبه الشديد له لدرجة الوله والعبودية) فكان الموضع (كما يعوذ المؤمن في شدَّته باسم الله) بمثابة قانون عبور Loi de passageمن الحجة (م-ص) إلى النتيجة (ن) لاشتراك (م-ك) و(م-ص) في صفة (الإيمان وشدة التعلق) وهو ما يحقق قصد المتكلم في إقناع المتلقي بأنه (سبب نجاته) ويمكن صياغة المقطع الحجاجي بالطريقة الآتية:

- ❖ مقدمة كبرى (قاعدة الاستدلال، الموضع) = يعوذ المؤمن ويلوذ في شدَّته باسم الله.
- ❖ مقدمة صغرى(حجَّة) = عذت باسمك في شدَّتي.
- ❖ نتيجة = كان لي خير معاذ وملاذ.

ويمثل الهيكل الحجاجي تنظيما لحركة المقطع الحجاجي كما يلي:[22]

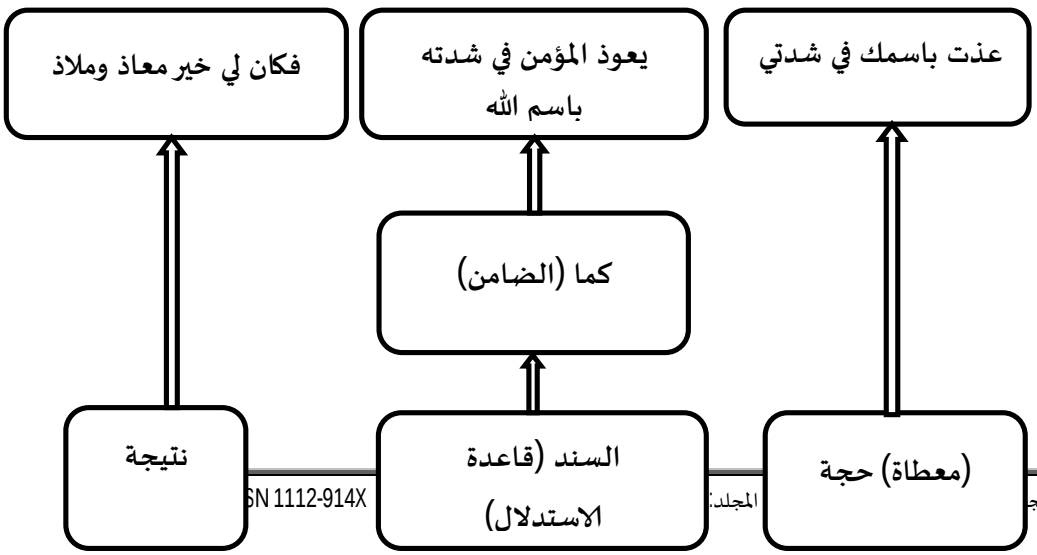

من خلال الهيكل الحجاجي يتضح أن الحجَّة (عذت باسمك في شدَّتي) لا تؤدي إلى النَّتيجة (فكنت لي خير معاذ وملاذ) إلاَّ من خلال الموضع الذي يمثل قاعدة للاستدلال.

مثال 2:[23]

فكلَّما تذكَّرتك استروحت من ذكراك كما استروح يعقوب من قميص يوسف، فلمَّا نجوت علمت أنَّك سبب نجاتي.

يتناص المقطع الحجاجي مع قصَّة سيدنا يعقوب -عليه السَّلام- المذكورة في سورة يوسف من القرآن الكريم الذي ظلَّ يبكي فراق ابنه يوسف - عليه السَّلام - حتَّى فقد بصره إلى أن أتاه البشير بقميصه الذي كان سببا في رد بصره إليه بعد أن ألقاه على وجهه، فكان الموضع الحجاجي (كما استروح يعقوب من قميص يوسف) المستوحى من القصص القرآني الضَّامن والسَّند المعتمد في ربط الحجَّة (فلمَّا ذكرتك استروحت من ذكراك) والنَّتيجة (فلمَّا نجوت علمت أنَّك سبب نجاتي)، واصفا آنذاك مشاعره وهو موشك على الغرق، فكان تذكره ومناجاته باسم **مجدولين** سببا جعله يتمسَّك بالحياة والنَّجاة من الهلاك.

ونمثل للمقطع الحجاجي كما يلي:

- ❖ مقدمة كبرى (قاعدة الاستدلال) = ما استروح يعقوب من قميص يوسف.
- ❖ مقدمة صغرى(حجة) = فلمَّا ذكرتك استروحت من ذكراك.
- ❖ نتيجة = فلمَّا نجوت علمت أنَّك سبب نجاتي.

ويوضح الهيكل الحجاجي ذلك كما يأتي:

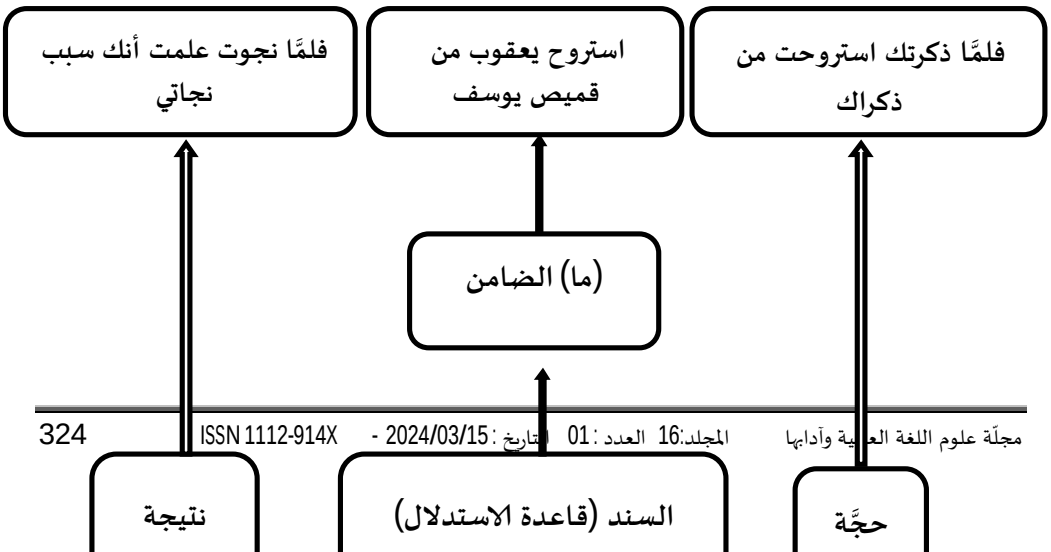

يوضح المخطط دور **الموضع** topic في ربط الحجة (فلمَّا ذكرتك استروحت من ذكراك) بالنتيجة (فلمَّا نجوت علمت أنَّك سبب نجاتي).

ثالثا: السلّم الحجاجي L'echelle Argumentative

يعرف السلَّم الحجاجي عند **أوزوالدو ديكرو** Oswald Ducrot بأنه "آلية تدرجيَّة يقدم المحاجج من خلالها وجهة نظر معيَّنة"[24]، ويضيف إلى هذه الدلالة **طه عبد الرحمن** بأنَّه "عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوَّدة بعلاقة ترتيبيَّة وموفية بالشَّرطين التَّاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب- كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه. ويمكن أن نبين ذلك من خلال الرسم الآتي:[25]

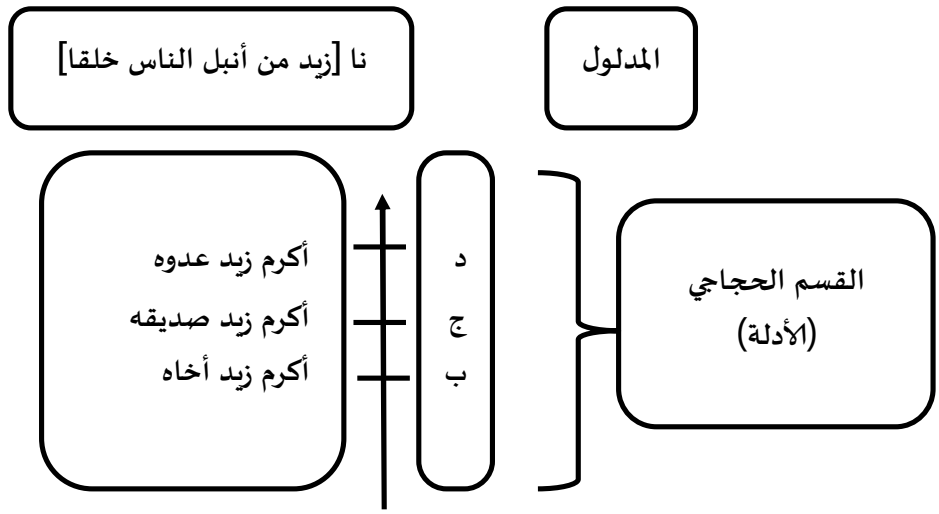

(نا) = نتيجة

(ب،ج،د) = ترميز للحجج

نلاحظ أن السلم الحجاجي يخضع لنظام وخاصيَّة التدرج في تقديم الأدلَّة والحجج، حسب قوَّتها في الإثبات، ومع ذلك التَّفاوت في القوَّة الحجاجيَّة إلا أنَّها تسلك وجهة حجاجيَّة واحدة تخدم نتيجة مشتركة، وتكون عناصر **القسم الحجاجي** Classe rgumentative مرتبطة ببعضها بعض، وهو ما يسمَّى بالرَّتبة أو المرتبة الحجاجيَّة.

ونضرب مثلا لذلك الحجج الواردة في قول **استيفن** كما يلي:[26]

> اعلمي أن الله الذي خلق الشَّمس وأودعها النّور، والزَّهرة وأودعها العطر، والجسم وأودعه الرّوح، والعين وأودعها النّور، قد خلق القلب وأودعه الحب.

يسوق الكاتب عن لسان شخصية الرواية **استيفن** مجموعة من الحجج المتدرجة في التوجه نحو النتيجة التي يهدف الى تحقيقها ويمكن التمثيل لها كما يأتي:

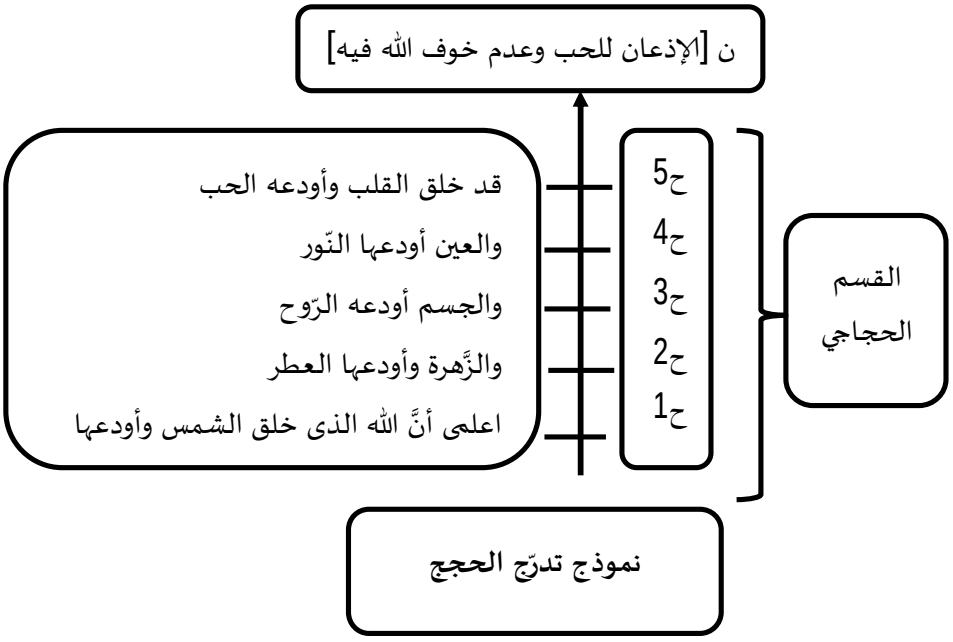

ينبني السلم الحجاجي على تراتبيَّة عناصر القسم الحجاجي المتضمّن لمجموعة الحجج الّتي تهدف إلى الوصول بالمتلقي للاقتناع والإذعان للحب، وهي النتيجة (ن) التي قصد **استيفن** الوصول إليها وتحقيقها عبر نوع من المرحلية والتدرّج في صياغة وتقديم الحجج المتظافرة والمتساوقة، الخادمة لها في شكل أقوال متسلسلة محكمة الرَّبط، فقد عمد **المنفلوطي** إلى توظيف الفعل الكلامي على لسان شخصية **استيفن** (اعلمي) الذي يحقق الغرض الإنجازي (النّصح والإرشاد)، المتضمّن للقوَّة الإنجازيَّة الحرفيَّة المتمثّلة في الأمر الصَّريح بالعلم أنَّ الله كما له القدرة على خلق أعظم الأشياء وأدقّها، وخالق المعجزات ليس بعاجز عن بث الحب في القلوب والرَّحمة بالمحبين ووصلهم، وبالإضافة إلى توظيف الأمر فقد أكد **استيفن** كلامه بمؤكدين حرف التَّوكيد (أنَّ) والاسم الموصول (الذي) لتأكيد الخبر وتقريره في ذهن المتلقي، وواصل تقديم حججه تباعا موظّفا الرَّابط التَّساوقي (الواو) الذي أدى وظيفة الرَّبط والتَّرتيب بين الحجج وفق ما يخدم النَّتيجة (ن)، بدءا من أدنى حجة إلى أعلى حجة في السلّم موظّفا حرف التحقيق (قد) في أعلى حجة(قد خلق القلب وأودعه الحب) للتَّأكيد على أنَّ الله الذي خلق الأرض و ما عليها لن يعجزه بثّ الحب في القلوب، وهي أقرب الحجج إلى النَّتيجة المتضمّنة لدعوى الحب والإقبال عليه وفق ما شرَّعه الله.

❖ **مراتب الحجاج:**

يتَّخذ الحجاج ثلاث مراتب يتناولها الدَّارسون على النَّحو الآتي:

1- **المراتب المتضادة:** يتقابل طرفا السلم بتدرج عكسي فقد "تكون الألفاظ دالة على معان يمكن ترتيبها بين طرفين متباينين"[27].

2- **المراتب الكمية:** وفيها "تتماثل تدرجات طرفي السلَّم الحجاجي وتتناسب طردا عناصر كل من المحورين، المتقابلين".[28]

3-**المراتب القصدية:** حيث "ينشئ المتكلم سلَّما حجاجيًّا خاصًّا به بناء على قصده من الكلام"[29]، وفي هذا النَّوع قد تتجاوز المراتب الألفاظ إلى الجمل، وهذا السلم أقرب توصيفا للخطاب الطَّبيعي، حيث يمكن أن يسوق المتكلم أدلة يراعي في ترتيبها موقف أو سياق أو غرض بلاغي معيَّن، وقد اختص كل من **ديكرو وانسكومبر** Ducrot & Anscombre بالنظر في هذا النوع من المراتب، ونسوق لهذا النَّوع مثالا قول البطل **استيفن**:[30]

> الله هو الذي ينصرك ويعينك، وهو الذي يأخذ بيدك في حيرتك، وينير لك السبيل في ظلمات هذه الحياة

نمثّل للسلَّم الحجاجي الخاص بالنَّص وفق شكلين كما يلي:

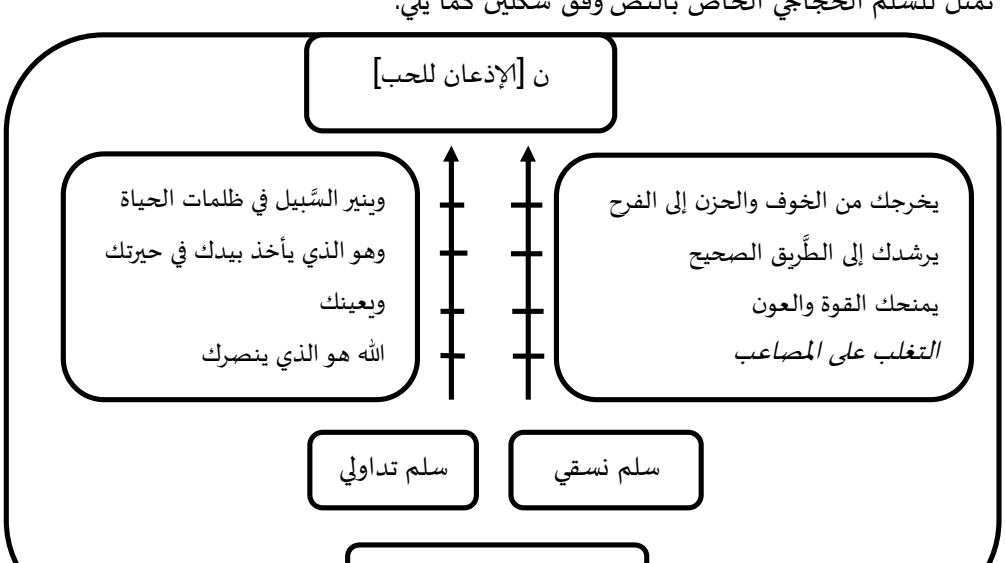

يوضح سياق النَّص حقيقة التدرُّج في سلَّم القصديَّة الذي تتساند عدة عوامل ومؤشّرات في تحقيق تراتبية الحجج في السلَّم من بينها سياق النَّص والمقام والخبرات المشتركة بين المتحاورين، ونلاحظ أنَّ كلاً من السلَّمين التَّداولي والنَّسقي يسيران وفق مسار واحد مما يشكل نوعا من التوافق بين تداولية الحجج وما تحمله من مقاصد.

وقد عمد المحاجج إلى إدراج الحجَّة (ينير السَّبيل في ظلمات الحياة) وجعلها الأقرب إلى النتيجة مما يجعلها أكثر تأثيرا في المتلقي نظرا لواقعيَّتها واعتمادا على الخبرات المشتركة المتمثَّلة في معرفة المتكلّم بظروف المتلقي وكذا اشتراكهما في المعتقدات الدينية، وهي مؤشّرات براغماتية تسهم في تحديد قوَّة الحجَّة، التي تجعلها أقوى الحجج وأعلاها في مراتب السلَّم انطلاقا من تراتبيَّة الحجج وحضورها وفق نسق خاص يسهم في تحقيق الهدف المنشود من العملية الحجاجية.

رابعا: حجاجيَّة الأفعال اللغوية: L'argumentation des actes linguistiques

أصبح مفهوم الفعل اللغوي نواة مركزيَّة في الكثير من المنجزات التداوليَّة، وفحواه أن
لا عن ذلك يعدّ نشاطا لغويًّا
ل ردود فعل المتلقي كالقبول

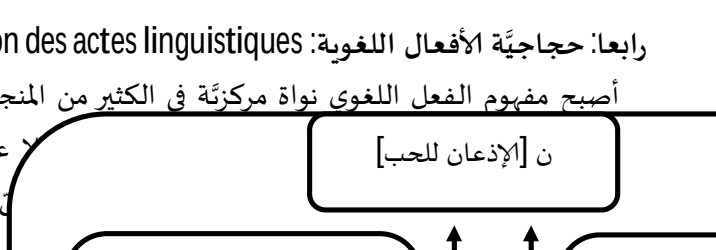

والرَّفض،وقد ميز الفيلسوف الانجليزي **أوستين** Austin صاحب نظرية الأفعال الكلامية بين نوعين من الملفوظات: ملفوظات تقريرية وصفية constative sentences/descriptive وتظل خاضعة لمعيار الصدق والكذب، وملفوظات إنجازية performative sentences (إنشائية) كالنهي والنفي والاستفهام.... وهي في حقيقتها أفعال تطمح أن تكون ذات تأثير في المتلقي وبالتَّالي إنجاز شيء ما، ونوضح للتأثير الانجاز ي للأفعال الكلامية من خلال المثالين الآتين:

1- الاستفهام

يعد أسلوب الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغويَّة حجاجا، وهو ما يتوسَّل به الكثير في فعلهم إذ "إن طرح السّؤال يمكن أن يضخّم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطّف ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم"[31]. ويرد الاستفهام في قول **مجدولين** على أنَّه فعل حجاجي يضمر قصدا اقتضاه سياق التلفّظ السَّابق:[32]

> قالت: أصحيح يا استيفن ما حدثتني به سوزان في كتابها أن اسمي كان آخر كلمة هتفت بها في الساعة التي كنت تحسب أنها آخر ساعاتك في الحياة؟

إنَّ سؤال **مجدولين** ليس استفهاما عن مجهول بين المتخاطبين، فهي تدرك مسبقا أنَّ **استيفن** لا يخالفها في أي جواب يقدّمه لها، فهو مسلَّمة مشتركة بينهما فكان جوابه (نعم)، فهو عبارة عن استفهام تقريري غرضه طلب التَّأكيد على صحَّة الخبر المفترض أنَّها تتساءل عنه.

المثال 2:[33]

> قال: ألا تعتقدين أنَّ قلبك نقي طاهر؟
> قالت: ذلك ما أعتقده وأشهد الله عليه.

تظهر حجاجية القول (ألا تعتقدين أن قلبك نقي طاهر؟) في كونه يسدُّ مسدَّ دليل نفهمه من السّياق، فهو يقصد بقوله مدلولا مخصوصا وهو أنَّه ينبغي عليك الإيمان بنقاء قلبك وطهره، وأن تلتزمي بهذا الاعتقاد، وهذا دليل مشترك بين الطرفين.

هذا النوع من الاستفهام التقريري يعد أقوى الوسائل وأشدُّها إقناعا للمتلقي، فقد وظَّفه المتكلم لإقامة الحجَّة على المتلقي، وهو ما توضّحه إجابة **مجدولين** (ذلك ما أعتقده وأشهد الله عليه) التي تسلّم بالإذعان لحجَّته عليها وتدعمها بدورها.

2- حجاجيَّة أسلوب النَّهي

للنَّهي صيغة أصلية يتلفظ بها المخاطب في خطابه حيث أنَه "للنَّهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك: "لا تفعل"، والنَّهي كالأمر في أن أصل استعمال: لا تفعل، أن يكون على سبيل الاستعلاء وبالشَّرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلاَّ أفاد طلب التَّرك فحسب [...] والأمر والنَّهي حقها الفور"[34]، وقد وردت صيغة النَّهي في قول **استيفن** مخاطبا **مجدولين** بقوله:[35]

لا تخافي من الحب يا ماجدولين، ولا تخافي من غضب الله فيه

حيث وجَّه **استيفن** قصده عبر الملفوظ المسبوق بالحرف (لا) موظّفا إياه لغرض النَّهي فكانت صيغة النَّهي دليلا صريحا على تبليغ قصده التَّوجيهي **لمجدولين** بأنَّ تتوقَّف عن (الخوف) مؤكّدا ذلك بتكرار لفظة (لا تخافي)، فكانت دعواه الأولى هو عدم الخوف من الحب بل وعلى العكس من ذلك يدعوها إلى الإذعان له والتَّسليم به، أما الدَّعوى الثَّانية فهو طلب الاطمئنان وعدم الخوف من الله وغضبه، وفيه قصد لإقناعها أن الحب ليس خطيئة يعاقب الله عليها خلقه.

خاتمة

من خلال ما تقدَّم عرضه نخلص إلى أنَّ الحجاج كامن في اللُّغة وبنيتها، تربطه مع الخطاب قوانين تدخل في تحديد المحتويات الحجاجيَّة، وهو ما سعى البحث إلى إبرازه كون الحجاج تقنيَّة لغويَّة تتنوَّع آلياته و تتظافر فيما بينها لتحقّق تشكُّل البنية، وإبراز نظام وتراتبية الحجج التي تربطها مجموعة القرائن والمؤشّرات الموجّهة للخطاب نحو وجهة واحدة لتحقيق هدف التَّأثير والإقناع، ويظهر ذلك من خلال محاولة **استيفن** تغيير وجهة نظر **مجدولين** وإقناعها بما يعتقد أنه صحيح،موظفا لذلك في كل مرة مجموعة من الحجج المنتمية إلى الفئة نفسها معتمدا على ما هو مشترك بينهما من خبرات ومعارف و معتقدات ، وهو ما مكنه من بناء حجج تتسم بقوة التأثير في المخاطب صاغها وفق تدرج سلمي يتسم بنوع من الترابط يجعلها تبدو و كأنها لحمة واحدة بفعل ما تشتمل عليه من روابط و عوامل حجاجية ، و التي لا تقف بدورها على تحقيق انسجام الخطاب واتساقه فحسب، بل وتعمل بشكل كبير واضح على توجيه الحجج نحو نتيجة محددة.

الإحالات والهوامش:

[1] عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013م، ص100.
[2] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م، ص30.
[3] ينظر عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص100، وأبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.
[4] ينظر، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي، كتاب معاني الحروف، تح وتد وتق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ط2، 1981م، ص59.
[5] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص29.
[6] مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، (د.ط)، 2016م، ص45، 44.
[7] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص27.
[8] مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، ص43.
[9] ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص59.
[10] شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، مجلد، XXXIX، كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس1، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، (د.ط)، (د.ت)، ص381.
[11] مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، ص43.
[12] موفق الدين يعيش (ابن علي بن يعيش النحوي)، شرح المفصل، ج، 8، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د.ت)، (د.ط)، ص107.
[13] مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، ص44.
[14] عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2011م، ص44.
[15] المرجع نفسه، ص44.
[16] قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ص38.
[17] عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م، ص27.
[18] صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2008م، ص19.
[19] المرجع نفسه، ص19.
[20] ينظر، قدور عمران، البعد التداولي الحجاجي في الخطاب القرآني، ص39-40.
[21] مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، ص43.
[22] ينظر، قدور عمران، البعد التداولي الحجاجي في الخطاب القرآني، ص39-40.
[23] مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، ص44.
[24] رزيق بوزغاية، كتاب التداوليات، نوران للنشر والتوزيع، تبسة، الجزائر، ط1، 2020م، ص162، نقلا عن، Oswald Ducrot .les échalles argumentatifs, les éditions de minuit, paris, 2013, p 16.

[25] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1998م،ص277.

[26] مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، ص45.

[27] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص274.

[28] رزيق بوزغاية، كتاب التداوليات، ص163

[29] المرجع نفسه، ص164.

[30] مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، ص32.

[31] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص484.

[32] مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، ص43.

[33] المصدر نفسه ص44.

[34] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص349.

[35] مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، ص45.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي، كتاب معاني الحروف، تح وتد وتق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ط2، 1981م.

2- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ط1، 2006م.

3- رزيق بوزغاية، كتاب التداوليات، نوران للنشر والتوزيع، تبسة، الجزائر، ط1، 2020م.

4- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، مجلد، XXXIX، كلية الآداب، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس1، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، (د.ط)، (د.ت).

5- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2008م.

6- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1998م.

7- عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2013م.

8- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011م.

9- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

10- عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2011م.

11- قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2012م.

12- مصطفى لطفي المنفلوطي، مجدولين، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، (د.ط)، 2016م.

13- موفق الدين يعيش (ابن عليبن يعيش النحوي)، شرح المفصل، ج، 8، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، (د.ت)، (د.ط).